قراءة في استراتيجية الفتح الإسلامي ببلاد المغرب من خلال حملة أبي المهاجر دينار"

أ. عبد الجليل قريان*

إن الحديث عن إستراتيجية الفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري يستدعي الإحاطة بكل المعطيات التاريخية- والجغرافية والبشرية- التي ساهمت في بلورة الرؤية الواعية لمؤسسة الخلافة وقادة الفتح في تحقيق تطلعات الأمة نحو نشر الإسلام في مختلف بقاع الأرض. وإذا كان الإطار العام لسير هذه الإستراتيجية يندرج في الوظيفة الأساسية لمؤسسة الخلافة باعتبارها مركز القرار فإن قادة الفتح كانوا وفقا لمواقعهم في مختلف الجهات يشكلون أهم مصدر تستند إليه القيادة في رسم ملامح هذه السياسة وتوجيه طاقات الأمة نحوها. لذلك فإن الحديث عن حملات القادة وتنوعها هو جزء من الحديث عن السياسة العامة للدولة الإسلامية وتوجهاتها لعمليات الفتح.

لقد تركزت الفتوحات الإسلامية بداية في دائرة الجزيرة العربية مستهدفة إزاحة هيمنة القوى الكبرى التي كانت جاثمة على كامل الناحية الشمالية للجزيرة العربية وغربها، وقد تم من خلال ذلك فتح أقاليم العراق والشام ومصر. وفي مرحلة تالية كان من الضروري تجاوز هذه المرحلة إلى دائرة ثانية في إطار توسيع وتأمين المجال الجغرافي للدائرة الأولى فكانت التوجهات نحو ما بعد العراق والشام ومصر.

ففي الجهة الغربية لمصر وطيلة العقود الثلاثة التالية لفتحها (سنة20هـ) شهدت هذه الجبهة صراعا محموما بين المد الإسلامي المتنامي من جهة، وبين القوى البيزنطية التي تسيطر على الشريط الساحلي وعلى امتدادات متناثرة في داخل مناطق المغرب من جهة أخرى من أجل إحكام التموقع على الأرض وبسط النفوذ في البنى الاجتماعية.

* - أستاذ مساعد أ في التاريخ الإسلامي الوسيط- قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة قالمة.

لقد تنبه المسلمون منذ وقت مبكر إلى أن الحدود الغربية لمصر لن تكون آمنة من الارتدادات والتمددات البيزنطية إلا بعملية واسعة يكون هدفها إشغال الروم بنفسها ومتابعتها من خلال محورين أساسيين:

- المحور الأول: تكون وجهته الطريق الصحراوي الجنوبي البعيد نسبيا عن التأثيرات البيزنطية والذي يتناغم عسكريا مع خبرة المسلمين، وقد تمت من خلاله أسلمة مناطق زويلة وفدان، واستطاع المسلمون من خلال ذلك تأمين مساحات واسعة يكون لهم فيها موضع قدم يمكّنهم من متابعة عمليات الفتح دون حذر أو خطر قد يؤخذون به عن غرة في خط رجعتهم.

- المحور الثاني تكون وجهته الطريق الساحلي نحو المراكز البيزنطية التي تمتلك بها تحصينات وحاميات كثيرة. لذلك توجه المسلمون لفتح برقة وأطرابلس في عهد عمرو بن العاص فاتح مصر، وأزيح البيزنطيون منها مؤقتا، وتمت كذلك عمليات أسلمة واسعة لقبائل البتر مثل نفزة ومكناسة وهوارة ونفوسة[1].

وعندما استقر الأمر لعبد الله بن سعد بن أبي سرح وبعد الدراسة الوافية للمعطيات والإمكانات المتاحة وقوة الخصم ونقاط ضعفه، تبين للمسلمين من الوجهة الإستراتيجية ضرورة ضرب الروم في صميم قوتهم وهي عاصمتهم في أفريقية "سبيطلة" التي كانت شبه مستقلة عن القسطنطينية[2] حتى يتمكن المسلمون من شلّ كل الإرادات التابعة لها رسميا[3]، لذلك كان الاهتمام بالتجهيز العسكري لهذه الحملة قد ارتبط مباشرة بمؤسسة الخلافة وعلى رأسها آنئذ عثمان بن عفان رضي الله عنه، ففي سنة 27هـ[4] جهز هذا الأخير جيشا بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وضمنه مجموعة من كبار الصحابة عرفوا بالعبادلة [5] كإشعار قوي بالأهمية البالغة لهذه الحملة. وكانت نتائج هذه المعركة انهزام جرجير gregore وانفصام قوته، وتمكن المسلمون من إلحاق هزيمة كبيرة بالبيزنطيين في عاصمتهم الإفريقية. وكان فتح مدينة سبيطلة منعطفا حاسما في إدارة الصراع بين المسلمين والبيزنطيين إذ أكد هذا الفتح بأن المسلمين على هذه الأرض سيكونون القوة العظمى في مستقبل السنين، وأن موازين القوى أضحت في صالحهم وهي تتطور بمرور الزمن، وأن أيام البيزنطيين باتت معدودة.

إن انتصار المسلمين على الروم في سبيطلة كان زلزالا عنيفا هزّ أركان الإمبراطورية البيزنطية، وكان له تأثير كبير ومباشر على العاصمة القسطنطينية التي لم تستوعب هذه الهزيمة في الجناح الغربي من الإمبراطورية واعتبرتها تهديدا حقيقيا لنفوذها ووجودها. وكانت تعتقد أن

عملا عسكريا تصحيحيا لهذا الخطأ قد يعيد الاعتبار للبيزنطيين كقوة كبرى. لذلك كانت الفكرة البيزنطية التوجه بحملة عسكرية بحرية ضخمة وغير مسبوقة[6] إلى الساحل المصري بالإسكندرية في محاولة لكسر شوكة المسلمين واسترجاع مصر، ويكونون بذلك قد مهدوا لاسترجاع إفريقية تبعا لذلك.

وكانت هذه الحملة في سنة 34 هـ إذ خرج البيزنطيون "في جمع لم يجتمع للروم قط منذ كان الإسلام"[7] على رأسه قسطنطين بن هرقل يتكون من 500 مركب مستغلين في ذلك خبرتهم البحرية وتفوقهم في السلاح البحري أمام المسلمين الذين لا يعرفون هذا النوع من الحروب.

ولأن مؤسسة الخلافة في المدينة المنورة تدرك الأثر النفسي الكبير الذي تركه الانتصار في سبيطلة على جموع المسلمين، والآثار السلبية الغائرة في جند الروم، فقد تقرر أن يكون عبد الله بن سعد بن أبي سرح قائد انتصار سبيطلة هو القائد العام الذي سوف يكون على رأس الجيش الذي يجابه جيوش الروم. وكانت معركة ذات الصواري معركة حاسمة وانتهت هي الأخرى بهزيمة شنيعة للروم، وقتل فيها قائدهم العام. وتأكد بعدها للروم استحالة استعادة الهيبة أو التفكير في مجابهة أخرى مع المسلمين في إفريقية. كما اطمأن المسلمون لمسيرة الفتح في ربوع إفريقية وبلاد المغرب.

وبعد تجاوز مرحلة الفراغ التي لحقت بالمسلمين جراء مشكلة الخلافة، واستتباب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان فإن الفعل العسكري الإسلامي فيما يختص بالروم اتجه هو الآخر في محورين أساسيين:

- المحور الأول يتجه نحو العاصمة البيزنطية القسطنطينية بتجهيز حملة كبيرة نحوها ومحاصرتها بين سنتي 49هـ و50هـ، وكان فيها جلة من الصحابة"[8]. وكان الهدف الرئيس لهذه الحملة تأكيد قوة المسلمين وتصميمهم على مقارعة الروم ليس في بلاد المسلمين فحسب، بل تهديدهم في عقر دارهم وأمام أسوار عاصمتهم.

- المحور الثاني يتجه إلى إفريقية: ففي الوقت الذي كان المسلمون يحاصرون فيه القسطنطينية كانت ثمة حملة أخرى قد توجهت في سنة50هـ نحو بلاد المغرب بقيادة عقبة بن نافع الفهري الذي استطاع أن يصل إفريقية وأن يعيد فتحها، وأن يهزم جموع الروم المتبقية هناك. ويبدو أنه وجد ترددا في إسلام البربر بعد العودة السريعة لجيوش الفتح إلى الفسطاط وعودة بقايا الروم إلى احتلال المدن المفتوحة، ومستغلا انشغال الروم بحصار عاصمتهم، فقد

قرر أن يؤسس لميلاد أول مدينة إسلامية في بلاد المغرب يكون هدفها تأمين المكتسبات الميدانية والدعوية للفاتحين لاستمرار ومواصلة عمليات الفتح، وتكون أهم دعامة جغرافية في تحقيق الإستراتيجية الإسلامية نحو نشر الإسلام في كامل المنطقة. وقد صور عقبة بن نافع دوافع بناء هذه المدينة والهدف منه بقوله: "إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر"[9].

وقد اختار عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان في موقع يستجيب للاحتياجات والاعتبارات الأمنية والغذائية، خاصة وأن هاجس القوة البيزنطية من القسطنطينية كان لا يزال قائما في خلَدِ المسلمين نظرا للتفوق البحري الذي لا يزال الروم يتمتعون به، وكان محل قلق عند قادة الفتح، وقد أفصح عنه عقبة بقوله عندما سئل عن سبب اختيار المكان بعيدا عن البحر فقال:" إني خائف أن يطرقها صاحب القسطنطينية"[10]. وتم بناء مدينة القيروان[11] بين سنتي 50هـ و55هـ. وتنتهي بذلك الولاية الأولى لعقبة بن نافع ليحل محله الوالي الجديد أبو المهاجر دينار. وكانت أهم نتائج بناء هذه المدينة التأسيس العملي للاستقرار النهائي في المنطقة، ورسوخ أسلمة البربر، وافتراق أمر الروم والتجاؤهم إلى الحصون[12].

لقد كان بناء مدينة القيروان في حد ذاته فتحا مبينا للمسلمين، إذ وفرت عليهم وعلى جنود الفتح خاصة جهودا مضنية، وكانت موطئا أساسيا في الاستقرار وتأمين مستقبل الفتح السياسي والدعوي، وفتحت بذلك مجالات أوسع وأفاقا أرحب نحو المستقبل الذي تكون عليه المنطقة بأسرها.

التعريف بشخصية أبي المهاجر: رغم أن أبا المهاجر دينار كان من قادة الفتح لبلاد المغرب فإنه لم يحض باهتمام خاص من قبل المؤرخين[13]، وكل ما هو موجود بين أيدينا من المصادر يكتفي بالإشارة إلى اسمه وكنيته. فاسمه دينار وكنيته أبو المهاجر. وتجمع المصادر على أنه كان مولى[14] لمسلمة بن مخلد الأنصاري[15]. وينفرد خليفة بن خياط بنسبته إلى الأنصار[16]، وهي نسبة مستبعدة لإجماع المؤرخين على أنه مولى للأنصار، ولأنه لو كان أنصاريا لكان نسبه واضحا، ولتتبعه المؤرخون كغيره من الأنصار، ولاحتفل به أصحاب كتب التراجم المتعلقة بالصحابة، ولكن يبدو أنه كان مولى لمسلمة بن مخلد الأنصاري في المدينة المنورة[17]، ثم رحل معه إلى الشام أثناء الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهم، ثم انتقل معه إلى مصر حيث كان مسلمة مهندسا

لعملية استيلاء معاوية على مصر سنة 38هـ[18] بعد معركة صفين، ومن هنا يمكن أن نفهم ذلك الاضطراب الذي وقع فيه المؤرخون بين من يجعله أنصاريا ومن يضعه مولى الأنصار أو مولى الأنصاري.

أما عن ملامح شخصيته فيمكننا تبيُّنها من اختيار مسلمة له كقائد لقوات الفتح خلفا لعقبة بن نافع الفهري، وموافقة خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان على ذلك. فبالإضافة إلى كونه قد أبلى بلاء حسنا في معاضدة صف معاوية بن أبي سفيان في الفتنة إلى جانب مولاه مسلمة في كل من الشام ومصر، وتمتعه بنشاط وحركة دائبة واكتسابه لخبرة عسكرية طويلة فإنه كان يمتلك شخصية قوية وطموحة تعتمد السياسية والدهاء أبانت عنها حملته التي قادها بنجاح كبير في المغرب. ونشعر بأن الرجل كان يتوق لأن يكون من القادة البارزين لما يتمتع به من عناصر قوة كان يدركها في نفسه، وكان يلح على مسلمة بن مخلد وهو والي مصر أن يعطيه فرصة إثبات قدراته وإفادة عمليات الفتح بها وأنه جدير بالمهمات الكبرى، نشعر بتلك الشخصية التواقة من خلال رد مسلمة على من جاء معاتبا له عندما أسند لأبي المهاجر ولاية إفريقية بدلا عن عقبة رغم سابقته وفضله وبنائه للقيروان:" إن أبا المهاجر كأحدنا صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل فنحن نحب أن نكافئه ونصطنعه"[19].

كما كان أبو المهاجر دينار على اطلاع واسع بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسياسته في حروبه وغزواته وتأليفه للناس إذ كانت الدعوة ونشر الإسلام الهدف الأساس الذي تنطلق منه ومعه وإليه الفتوح، وقد ذكَّر عقبة عندما بادر بالإساءة إلى كسيلة بقوله: "بئس ما صنعت، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب، وأنت تأتي رجلا جبارا في قومه، في دار عزة قريب العهد بالشرك فتهينه"[20].

ويمكننا أن نكشف عن جوانب دقيقة في شخصيته عن رجل متمكن متمرس في دراسته لمجتمع إفريقية، عارف بالأجناس التي تشكله، ومطلع على عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم[21]، وقد استخدم تلك المعرفة بشكل جيد في إدارة حملته، واستطاع أن يصل إلى قلوب البربر ويستولي على حب وتقدير قائدهم وأن تسلم قبيلته برمتها، ويصبح القائد كسيلة صديقا حميما له. ولعل هذه أول مرة في تاريخ الفتح يستطيع فاتح أن يسلم على يديه قائد ويسلم بإسلامه جميع أفراد قبيلته.

وكان أبو المهاجر يتمتع بصبر كبير وصدق وإخلاص لدينه وأمته، فرغم أنه تعرض لمضايقات وإحن على يدي عقبة بن نافع، فإنه كان ناصحا له وهو في سجنه موثقة يداه[22]، يشير عليه بأحسن الآراء حتى يجنبه المخاطر ويجنب جيش الفتح الهزائم رغم إعراض عقبة بن نافع عنه. ولقد سجل له التاريخ صموده وقمة عطائه مع عقبة وجنوده في موقعه تهودة، فرغم أن عقبة فك وثاقه وأمره باللحاق بالمسلمين في القيروان وأن يكون أميرا عليهم فإنه أبى ذلك وأصر على البقاء في ساح المعركة إلى أن استشهد مع عقبة في معركة تهودة بالقرب من مدينة بسكرة سنة 63هـ[23].

ولاية أبي المهاجر دينار: ترتبط ولاية أبي المهاجر دينار لإفريقية ارتباطا وثيقا بوالي مصر مَسْلَمَة بن مُخَلَّد[24] الأنصاري الخزرجي[25] الذي كان هو الآخر واليا لمصر من قِبَل معاوية منذ سنة 47هـ[26]. في هذه الأثناء لم تكن ثمة ولاية إفريقية قد اتضحت معالمها إلا بعد أن أكمل عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان سنة 55هـ، عندها كان من اللازم أن ترتبط بالخلافة إداريا. ولما كانت هذه الولاية فتية فقد ضمها وجمعها الخليفة معاوية بن أبي سفيان لأول مرة إلى ولاية مصر وذلك سنة 55هـ[27] عند اكتمال بنائها من طرف عقبة.

أصبح مَسْلَمة والي مصر في سنة 55هـ هو المسئول المباشر عن ولاية إفريقية، فرأى أن يعزل عقبة عن مدينته التي انتهى من بنائها وأن يولي مولاه أبا المهاجر دينار ولاية إفريقية في السنة نفسها[28].

وحتى نتبين بأن أمر عزل عقبة وتولية أبي المهاجر دينار كان عن دراية تامة بظروف عمليات الفتح وتتبع أثار الحملة الأولى لعقبة، و لم يكن نزوة من قبل مسلمة[29]، يجب أن نؤكد بأن مسلمة هذا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار، إذ أسلم بالمدينة المنورة وعمره أربع سنين، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره أربع عشرة سنة[30]، أي أنه عاش زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان مستشارا لعمرو بن العاص، ومشاركا في فتح الإسكندرية سنة 21هـ، وفي أحداث الفتنة كان من الذين أظهروا الطلب بدم عثمان، وتوجه نحو الشام وانضم إلى فريق معاوية، وكان قائدا في معركة صفين[31] ، ثم انتقل إلى مصر[32]، وكان سنة 38هـ مهندسا لعملية استيلاء معاوية على مصر بعد مراسلات بينهما[33]. وفي سنة 47هـ أصبح واليا عليها من قبل

معاوية، إلى أن كانت سنة 55هـ جمع معاوية ولاية إفريقية ومصر لمسلمة وكان عمره إذ ذاك 59 سنة (أو 55 سنة).

إن مسلمة بن مخلد تمتع إذن برصيد من العلم والخبرة جعلته يقدر الآثار السلبية التي شعر بها البربر وهم يرون الشدة التي جابههم بها عقبة، وهي شدة اقتضتها طبيعة المرحلة وطبيعة العمليات العسكرية[34]، وكيف اقتحم عليهم المنطقة ببناء القيروان، فكان لزاما على مسلمة أن يغير هذه الشخصية التي أصبحت صورتها مخيفة لمجتمع إفريقية ومعرقلة لنشر الإسلام، وأن يستبدلها بشخصية تتمتع برحابة صدر كبيرة، وبليونة وسلاسة، حتى تمحو ما انطبع في خَلَد السكان عن الفتح وعن تعاليم الإسلام. ولأنه يرى أن مرحلة جديدة سوف تعيشها إفريقية، فكان اختياره لأبي المهاجر يتجه أساسا في هذه الوجهة، وحتى تكون بداية الاحتكاك الفعلي بالمسلمين في هذه المدينة معبرة فعلا عن السماحة الإسلامية والأخلاق النبوية.

صحيح أن مَسْلمة أراد أن يكافئ مولاه أباه المهاجر نظير بلائه في صفوف معاوية[35]، ولكنه لو لم يكن قد خَبَر شخصيته التي يتوفر عليها والتي سوف تكون الأنفع لعمليات الفتح في هذه المرحلة الجديدة لما كان اختياره له، كيف لا وكثير هم أولئك الذين ساهموا بجد أكثر من أبي المهاجر ولم يكونوا من الموالي لم يرشحهم مسلمة لذلك، وآثر أبا المهاجر[36].

نشاط أبي المهاجر: إن أبا المهاجر في إطار حملته على إفريقية ببلاد المغرب كان يسير وفقا لإستراتيجية مبنية على تفاعل بين عنصرين أساسيين:

أولا: شخصية أبي المهاجر وطموحه الكبير في القيادة وتولي شؤون إفريقية وإثبات حنكته وجدارته التي أفصح عنها مسلمة بن مخلد، وتميزه عن غيره بسياسة حكيمة تعتمد الليونة في غير ضعف والقوة في غير شطط، ورؤيته البعيدة في استغلال أية فرصة لنشر الإسلام وتوسيع مجاله الحيوي في الجغرافيا الطبيعية والبشرية.

ثانيا: الدراسة الوافية لمسار ووسائل وأساليب ونتائج الحملات السابقة وخاصة الحملة الأولى لعقبة بن نافع والاستفادة من كل هذا الرصيد واستثمار إيجابيته وتجاوز أخطائه.والاستفادة من التموقع الجديد للمسلمين بعد بناء مدينة القيروان. وكل ذلك في نطاق الإستراتيجية العامة للخلافة في توسيع عمليات الفتح ونشر الإسلام في بلاد المغرب.

ولذلك فقد شعر أبو المهاجر أن ثمة مشاكل حقيقية تعرقل مسار عمليات الفتح وتحُدُّ من جهود الفاتحين بل وتجعل المنطقة كلها رهنا بهذه المعقبات، ويمكن اختزالها فيما يلي:

1- مشكلة الصورة الإسلامية التي شوهت أو تمهلت لدى البربر بفعل المبالغة في الجانب العسكري خاصة ما قام به عقبة في حملته الأولى من إفراط في استخدام القوة واقتحامه المنطقة ببناء مدينة القيروان.

2- مشكلة بقايا الروم على طول الساحل وتحالفهم المؤقت والمصلحي مع أطراف بربرية في الداخل واعتبارهم جزءا من المشكلة التي تبعد البربر عن الإسلام.

3- مشكلة الاستقرار والمقام الذي يجب أن توفر له كل أسباب النجاح والديمومة، والذي يكون وراء كل استمرار في عمليات الفتح.

من جانب آخر كان أبو المهاجر على دراية تامة بالتناقضات العقائدية (مسيحية-يهودية-وثنية) والمذهبية[37] التي تعاني منها المنطقة والتي أورثت أحقادا كبيرة وضغائن لا تقهر[38] وكان من نتائجها الثورات التي لا تكاد تهدأ بين البربر والبيزنطيين[39]، وداخل البيزنطيين أنفسهم، ولذلك أحاط البيزنطيون أنفسهم بالتحصينات اللازمة لحمايتهم من الخطر البربري بنيت على عجل فوق الأنقاض الرومانية واستعملت فيها البقايا الرومانية[40]. كما كان أبو المهاجر يتلمس الضعف الكبير الذي أصبحت عليه العقيدة المسيحية والفراغ الذي كان سمة بارزة في هذا العهد عند البربر ذاتهم.

ولقد توضحت رؤية أبي المهاجر في إطار تفاعله مع المعطيات الميدانية والبشرية، وكان يعتقد أنه في مرحلة جديدة تختلف عن سابقاتها، وتبلورت إستراتيجيته فكانت متجهة في المحاور التالية:

المحور الأول: إصلاح صورة الإسلام والمسلمين لدى البربر: كان الاهتمام الأول عند أبي المهاجر دينار هو محاولة إعادة تشكيل الصورة الحقيقية للدعوة الإسلامية في إطارها الصحيح الذي يعتمد على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا الأمر تمكن أبو المهاجر من استيعابه وتطبيقه عمليا في الميدان والتحجيم من استعمال القوة إلا في الضرورات القاهرة واستغلال أية فرصة للدعوة والمصالحة حتى يستيقن الجميع أن المسلمين لم يأتوا غازين بل جاؤوا فاتحين بدين جديد.

ولا نشك أن هذه الإستراتيجية قد ساهمت في فتح مجموعة من المدن لعل أهمها مدينة ميلة ومدينة قسنطينة والمناطق المجاورة لها، ذلك أن المؤرخين لم يتحدثوا عن أية مواجهة بين أبي المهاجر وسكان هذه المناطق. كما ساهمت هذه الإستراتيجية فيما بعد وبشكل فعال في ردم

تلك الفجوة الكبيرة التي كانت بين الفاتحين والبربر حتى تمت أسلمتهم جميعا في عهد إسماعيل بن أبي المهاجر[41] سنة 100هـ في خلافة عمر بن عبد العزيز[42].

المحور الثاني: أسلمت قبيلة أوربة: كان الهاجس الذي سيطر على أبي المهاجر دينار كيفية الوصول إلى قلوب وعقول قبيلة من أعظم القبائل البربرية في ذلك الوقت والتي لا تزال خارج الإطار الإسلامي، فقد أسلم الكثير من البربر البتر ممثلة في قبائل نفوسة وهوارة ومطغرة ونفزاوة[43] وغيرها منذ البدايات الأولى للفتح الإسلامي في برقة وطرابلس وفزان وزويلة، وانتشر الإسلام بينهم، وأصبحوا جزءا من جيش الفتح ذاته ومع عقبة بن نافع. أما القسم الثاني من البربر وهم البرانس الذين لا تزال علاقتهم بالحضارة البيزنطية قائمة وهم الأغلبية الضاربة في بلاد المغرب الإسلامي حتى قال عنهم الإصطخري في المسالك والممالك: "وسائر البربر الذين هم البرانس فمفترشون في سائر المغرب"[44] بقي هذا القسم خارج الإسلام، وإذا ما تمت أسلمة البرانس فقد تمت أسلمة البربر كلهم. وكانت قبيلة أوربة هي المالكة لزمام البرانس كلهم يأتمرون بأمرها وينتهون بنهيها، وكانت لها الغلبة والريادة على باقي بطون البرانس، وقد صور ابن خلدون نفوذ هذه القبيلة بقوله: "وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عددا وأشد بأسا وقوة...، وكان أميرهم بين يدي الفتح سكرديد بن زوغي بن بارزت بن برزيان وولي عليهم مدة ثلاث وسبعين سنة، وأدرك الفتح الإسلامي ومات سنة إحدى وسبعين[45] وولى عليهم من بعده كسيلة بن لمزم الأوربي فكان أميرا على البرانس كلهم"[46].

وكان أبو المهاجر يدرك جيدا انضباط قبيلة أوربة وخطرها وأهميتها في كسب المنطقة كلها لحضيرة الإسلام وأن إسلامها سوف يكون منعطفا حاسما في التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب، ولذلك ما أن استقرت أموره في القيروان حتى توجه في نفس سنة 55هـ[47] نحو معاقل هذه القبيلة نواحي تلمسان واستنفر لذلك كامل طاقته العسكرية، ولم يترك بالقيروان سوى الشيوخ والنساء[48].

واستطاع أبو المهاجر أن يصارع هذه القبيلة (البرانس) في البداية وأن يظفر بقائدها كسيلة والذي كان قد أسلم قبلُ في بدايات الفتح[49]، ووفقا لسياسته الحكيمة فقد ذكره بالإسلام مرة أخرى وأسلم كسيلة[50]. ولكن أبا المهاجر لم يتوقف عند هذا الحد بل أحسن إليه وصاحبه و لزمه في حله وترحاله[51]. وكان من ثمرات ذلك أن أسلمت قبيلته أوربة كلها بإسلام كسيلة

وأصبحت جزءا من المسلمين الفاتحين، وأصبح المغرب بإسلامهما يكاد يغمره الإسلام في كل جوانبه، وحقق أبو المهاجر عنصرا هاما من إستراتيجية ليتفرغ إلى عنصر آخر.

المحور الثالث: تصفية بقايا الوجود الرومي في الداخل والساحل: بعد أن قضى المسلمون على عاصمة البيزنطيين في إفريقية سبيطلة سنة 27هـ جاء بناء القيروان لمحاصرة الروم في الساحل ومحاولة الفصل بينهم وبين أطراف من البربر المتحالفين معهم مصلحيا، وقد أفلحت هذه الأحداث في انحصار الوجود البيزنطي في الشريط الساحلي[52] وإن بقيت بعض امتداداته في الأماكن البعيدة عن التواجد الإسلامي.

وكان أبو المهاجر على وعي تام بأن هناك تحالفات مصلحية مؤقتة بين الروم وبعض الأطراف من البربر وكان مبعثها الخوف من التواجد الإسلامي الفتي على المنطقة، لذلك كانت حملته نحو تلمسان تهدف إلى تصفية الوجود الداخلي للروم على طول الخط الواصل بين القيروان وغرب تلمسان وذلك بفك وكسر التحالف المصلحي بين البربر وبقايا الروم ووضع تحالف أبدي بين الفاتحين والبربر بأسلمة قبيلة أوربة ومن ورائها البرانس كما أسلفت الإشارة إلى ذلك، وحتى ينحصر نشاط الروم في الساحل وتصفى منهم المنطقة الداخلية ويتم التوجه بعد ذلك نحوهم في الساحل.

ولما تمت تهيئة المجال الداخلي بإسلام قبيلة أوربة وفتح منطقة تلمسان التي أقام بها أبو المهاجر عيونا للماء[53] إشارة منه إلى الإقامة والاستقرار بجيشه معه كسيلة وقبيلته، رجع إلى القيروان ومنها توجه نحو قرطاجنة لتهديد الروم في أخطر جبهة كانت لا تزال قائمة للروم وهي مدينة قرطاجنة[54] الساحلية وذلك سنة 59هـ وقامت بين الطرفين حرب ضروس كثر فيها القتل وصبر المسلمون، وانتهت بعقد معاهدة صلح بينهما[55]، ثم بعد ذلك تم فتح جزيرة شريك[56] من قبل حنش بن عبد الله[57] الصنعاني[58]. ولما تم الانتهاء من قرطاجنة ومن جزيرة شريك كانت وجهة أبي المهاجر نحو مدينة ميلة سنة 59هـ.

فتح مدينة ميلة ولماذا اختارها أبو المهاجر قاعدة له؟؟: لعله من المفيد جدا التأكيد على أن حملة أبي المهاجر دينار إلى مدينة ميلة والمقام بها واتخاذها مقرا لقيادته نحو سنتين أمر يمكن حسمه من الناحية التاريخية ذلك لأن الدكتور حسين مؤنس في كتابه "فتح العرب للمغرب"[59] الذي كان ولا يزال من المؤلفات التي تحظى باهتمام الباحثين والأساتذة الجامعيين في معرض حديثه عن مصادر كتابه ومن بينها كتاب أبي المحاسن ابن تغري بردي" النجوم الزاهرة في ملوك مصر

والقاهرة[60]" أعطى انطباعا بأن المصادر التاريخية لم تول فتح ميلة أهمية ولم تدون حيثياتها، يقول: "بيد أن أبا المحاسن انفرد بأخبار لها أهميتها كذكره التفاصيل الخاصة بحملة دينار أبي المهاجر على قرطاجنة (وعلى ميلة) وهي أخبار أغفلها كافة مؤرخي المشرق[61]، ولو لم يكن أبو المحاسن قد عني بإثباتها لظلت أعمال أبي المهاجر سرا مغلقا لا نعرف عنها إلا الشذرة اليسيرة التي أوردها ابن خلدون عن حملة تلمسان"[62].

والحقيقة أن ثمة من المؤرخين المشارقة والمغاربة من تحدث عن هذه التفاصيل نفسها ولم يكن أبو المحاسن (ت874هـ) سوى ناقلا أمينا عنهم، فهو ينقل نقلا حرفيا تقريبا ما أورده الذهبي (ت748هـ) في كتابه تاريخ الإسلام في حوادث 59هـ (أبو المحاسن ينقل كثيرا عن الذهبي): "وفيها (59هـ) غزا أبو المهاجر دينار فنزل على قرطاجنة فالتقوا فكثر القتل في الفريقين وحجز الليل بينهم ثم عاودوهم القتال فصالحوهم على أن يخلوا لهم الجزيرة، وافتتح أبو المهاجر ميلة وكانت إقامته في هذه الغزاة نحوا من سنتين"[63]. والنص بنفس العبارة تقريبا أورده خليفة بن خياط (ت 240هـ/854م)) في كتابه تاريخ خليفة بن خياط في أحداث سنة 59هـ[64]، وواضح أن الذهبي ينقل حرفيا عن خليفة. كما أورد المالكي(ت474هـ) في كتابه رياض النفوس[65] التفاصيل نفسها عن حملة مدينة قرطاجنة ولكنه لم يتحدث عن مدينة ميلة.

إذن لدينا ثلاثة مصادر من القرن الثالث والثامن والتاسع تحدثت عن فتح ميلة واتخاذها مقرا لقيادة أبي المهاجر، وأربعة مصادر تحدثت عن الحملة لمدينة قرطاجنة مما يؤكد أن فتح مدينة ميلة من قبل أبي المهاجر ثابت ومؤكد في المصادر التاريخية المختلفة.

ويبدو أن العمل العسكري والمصالحة التي قام بها أبو المهاجر مع بربر أوربة وفي قرطاجنة مع العجم كان لها أثرها الكبير على فتح ميلة، وتلقي أهلها هذا الفاتح الكبير بالترحاب، ذلك انه لو كانت ثمة مواجهات ومعارك ومقاومات لسجلت أحداثها من طرف المؤرخين، وخلو هذه المصادر من ذكرها دليل على أن ميلة تلقت الفاتحين بصدر رحب، ولذلك اختارها أبو المهاجر مقاما وقاعدة لمعسكره[66] له، وبنى بها دار الإمارة والمسجد الجامع، وبقي بها حوالي سنتين[67].

أما عن أهمية ميلة في اختيارها من قبل أبي المهاجر مقرا للقيادة فلأنها تستجيب للاحتياجات الأمنية والدعوية والاقتصادية، ويمكن حصرها في العوامل التالية:

العامل الجيوستراتيجي: إن مدينة ميلة[68] من المدن التي تعتبر محصنة تحصينا طبيعيا إذ تقع في منطقة وعرة ذات جبال منعزلة[69]. وبما أنها كانت من المراكز البيزنطية الهامة[70] فإنها كانت تتوفر على حصون عديدة[71] خالية من البيزنطيين، بالإضافة إلى أنها تقع في الطريق الذي يصل بين تيجس إلى قسنطينة مرورا بميلة ثم سطيف إلى المسيلة[72]، أي أنها تقع ضمن شبكة الطرقات الرئيسية التي تمكنها من احتلال موقع متميز تتوسط فيه مدنا كثيرة.

بالإضافة إلى ذلك فإن مدينة ميلة تقع بالقرب من خمسة مراسي أساسية: مرسى جيجل، ومرسى قلعة خطاب، ومرسى اسكيكدة، ومرسى ملر، ومرسى دهاجة[73]، وهو ما يؤكد أهميتها في مواجهة الروم في السواحل الغربية، كل ذلك سوف يجعلها في حصانة تامة وتتمتع بالمراقبة والمواجهة الحاسمة للتواجد البيزنطي ومحاصرته على الساحل في جانبه الغربي من قرطاجنة، كما أن هذا الموقع سوف يحقق الرؤية الإستراتيجية لأبي المهاجر لمواصلة الفتح في الجهة الغربية، وهو ما سوف تظهر أهميته في حملة كل من حسان وموسى بن نصير. كما كان هذا الموقع محوريا في إسلام وفتح مدن مثل مدينة قسنطينة[74] وغيرها.

العامل الاقتصادي: لاشك أن الجانب الاقتصادي له آثاره الفعلية والأساسية في استمرار الحركة والنشاط لدى جيوش الفتح التي تستقر في المنطقة لفترة طويلة نسبيا ولذلك فإن الموارد المالية للجيش تأتي في أولويات القادة، وبالنسبةإلى ميلة فإن تتوفر من الناحية التموينية على ما يؤهلها لان تكون مدينة تستجيب لمتطلبات الجند فهي تتربع على أرباض ومساحات زراعية واسعة كثيرة الأشجار والثمار[75] كثيرة الخصب رخيصة السعر، ويكثر فيها القمح والتفاح[76] والإجاص وغيرها من الفواكه[77] والقرى التي حولها عامرة بمختلف أنواع المزروعات. وبالقرب من ميلة جبل العنصل وهو أخصب جبال إفريقية، فيه جميع الفواكه من التفاح والسفرجل والأعناب الكثير[78]. وكانت ميلة متميزة كذلك بغنى مواردها المائية[79] إذ تتفق كل المصادر الجغرافية على وجود عين ماء في وسطها تسمى عين أبي السباع[80]، وهي عين ضاربة في القدم. ولذلك فقد كانت ميلة بمثابة مركز اقتصادي لمنطقة خصبة[81]. إن هذا العامل لا تخفى أهميته ومحوريته في الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي من مصادر التموين.

العامل الاجتماعي: في هذا العصر كانت المدينة آيسة من المسيحية، ولذلك كان استقبالها المسلمين بحفاوة، خاصة بعد أنباء أبي المهاجر السارة والمتعلقة بالمصالحة التي جاء بها سياسة متبعة، ولذلك فإن المدينة كانت خالية من البيزنطيين الذين كانوا على علاقة سيئة بالبربر. كما

أن المدينة تحمل في رواسبها تلك الحرب الشعواء التي مارستها المسيحية الكاثوليكية على الدوناتيين وخاصة في عهد الأسقف الميلي أوبتا الذي كان مواليا للكنيسة الرسمية ضدهم، إلى الاختلافات الكبيرة حول طبيعة المسيح وارتداد الكثير منهم عنها وبقائهم شبه وثنيين.

لقد كانت المنطقة برمتها ومنها ميلة تعيش فراغا عقائديا، إذ لم تستطع المسيحية للظروف السالفة أن تتجذر في المجتمع المغاربي وهذا الفراغ هو الذي جعل مؤرخا مثل جورج مارسية يعلق على انتقال البربر إلى الإسلام بسرعة بقوله: "ففي أقل من قرن واحد اعتنق العدد الأعظم من أبناء أولئك المسيحيين (نصارى البربر) الإسلام في حماس جعلهم راغبين في اغتنام الشهادة، وقد تمت النقلة بصورة نهائية في خلال القرنين الأول والثاني للهجرة أو القرون الثلاثة التالية غير تاركة من بلاد المغرب سوى بقع ضئيلة أصبح حتى مجرد الاعتقاد في وجودها أمرا مشكوكا فيه، وبينما كانت معظم البلاد التي انتشر فيها الإسلام تحتفظ بطوائف مسيحية كانت لها مكانة مرموقة في الدولة في بعض الأحيان كالشأن مع سكان جبل لبنان في بلاد الشام والأقباط في مصر والمعاهدة المستعربين في الأندلس الذين كانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع ساداتهم المسلمين فإن وطن سان أوجستين لم يعرف نظيرا لذلك"[82].

إن هذه العوامل كانت بلا شك سببا رئيسا في اختيار مدينة ميلة كمركز لقيادة عمليات الفتح وخولها ذلك للبقاء فيها مدة سنتين، وكانت هذه المدينة ملهمة لأبي المهاجر فقد كان الفاتحون من قبل يجولون في بلاد المغرب (إفريقية) ويقيمون ولكن سرعان ما يرجعون إلى الفسطاط، إلى أن فكر عقبة في الاستقرار ببناء مدينة القيروان ولكن أبا المهاجر كان أول من أقام بإفريقية العام كله[83] واختبر صيفها وشتاءها.

ورغم أن أبا المهاجر لم تتسنى له الإقامة في مدينة ميلة سوى سنتين إلا أن هذه الخطوة من الناحية الإستراتيجية تعتبر توجها محكم التخطيط والدراسة في محاصرة ما تبقى من النفوذ البيزنطي وفك ما تبقى كذلك من خيوط الترابط المصلحي بينهم وبين البربر وتراجعه نحو الشمال الساحلي ومن ثم كانت هذه المحاصرة تخفيفا وتيسيرا لمهام الفتح وإيذانا بأن أمر الفتح لم تعد تشغله كثيرا عقبات الروم، مع التفتح الايجابي الذي ظل ميزة أبي المهاجر في إدارة المنطقة. لقد أراد أبو المهاجر أن يجعل من مدينة ميلة قيروانا آخر يفيد حركة الفتح، فكان مصلحا للأخطاء السابقة، مواصلا لجهود الفتح التي لم تتوقف، وكانت حملته منعطفا رئيسيا في إسلام البربر واندحار الروم.

الهوامش:

1- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006ه/1427م، ج 6 ص 172. وانظر كذلك حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ص 38.

cambuzat.P.L :L'évolution des cités du tell en Ifriqiya du 7e au 11e siècle T 1 p 34

2- Cambuzat : OPCIT T 1 P 27 .

3- انظر الرسالة التي وصلت من طرف عبد الله بن سعد إلى عثمان يستأذنه في فتح إفريقية، انظر. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ج1، ص 9-10.

4- البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات المعارف، بيروت، لبنان، 1408هـ/1987م، ص317. الطبري: تاريخ الأمم والملوك دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م ، ج2 ص597. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت لبنان بلا تاريخ، ج 3 ص88-91. ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة الإيمان، المنصورة، بلا تاريخ، ج7 ص149.

5- العبادلة هم: عبد الله بن الزبير بن العوام، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبيد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم من كبار الصحابة . انظر البلاذري: م.س، ص 317.

6- نص ابن الأثير الذي يبين فيه سبب معركة ذات الصواري بقوله:" وأما سبب هذه الغزوة فإن المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم يجمع الروم مثله مذ كان الإسلام"، الكامل ج 3 ص 117.

7- الطبري: م.س، ج2 ص .619

8- ابن الأثير: م.س، ج 3 ص 458. كان في هذه الحملة من الصحابة : ابن العباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري، وتوفي أبو أيوب الأنصاري عند القسطنطينية ودفن بالقرب من سورها.

9- ابن عذاري: م.س، ج1 ص19، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، القاهرة 1403هـ/ 1983م ، ج 24 ص 22 .

10- ابن عذاري: م.س، ج1،ص19.

11- تقع القيروان جنوب غرب مدينة سوسة على بعد حوالي 60 كيلومتر بالقطر التونسي.

12- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 126.

13- خلال البحث حاولت الوصول إلى أي إنتاج علمي (مؤلفات أو مقالات علمية) حول أبي المهاجر في المكتبات الجامعية وفي المكتبات العالمية عبر مواقع مختلفة للإنترنت فلم أعثر على شيء من ذلك. و الغريب أنه رغم أن أبا المهاجر استشهد في نفس المعركة والمكان الذي استشهد فيه عقبة فإن قبره لا يشار إليه كما يشار إلى قبر عقبة رغم أنهما دفنا في المكان نفسه.

14- المولى: المُعتَق انتسب بنسبك، ولهذا قيل للمعتقين "الموالي" انظر ابن منظور: لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 1423ه/2003م ، ج9 ص406، مادة ولي. وانظر كذلك: لويس غارديه: أثر الإسلام في العقلية العربية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1 1412ه/ 1992م، ص 38، يقول: "الموالي: بمعناه الأول ينطبق على الرقيق المعتوقين، وفي العصر الأموي دل بشكل أدق على معتنقي الإسلام من العرق غير العربي الذين كانوا أسرى الحرب الطلقاء".

15- المالكي: رياض النفوس، ج1 ص 33 . ابن الأثير: م.س، ج3 ص 466، ابن عذاري: م.س ج1 ص 21. ابن خلدون: م.س ، ج 3 ص 13. البلاذري: م.س، ص 320 . النويري: م.س، ج 24 ص24-25. الدباغ: معالم الإيمان، ج1 ص32 . ابن الخطيب: أعمال الأعلام القسم الثالث ص3.

16- غير أنه مولى الأنصاري عند المالكي: رياض النفوس، ج 1 ص 34، وابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص 224.

17- يفترض عبد العزيز فيلالي في كتابه "تاريخ ميلة" ص 13 أن أصل أبا المهاجر من مصر، وهو ما ذهب إليه مؤنس حسين في كتابه فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا تاريخ، ص 158.

18- ابن الأثير: م.س، ج 3 ص 355

19- ابن عبد الحكم: م.س، ص 225. ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 22.

20- ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 29 .

21- كانت لأبي المهاجر دراية معتبرة بعادات وتقاليد المنطقة أو بما نسميه **Anthropologie** وهو علم الجنس البشري الذي يبحث في طبيعة الإنسان وعاداته ومعتقداته. انظر **Le petit Larousse 1986 p 47**

22- ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 29 ، انظر ما كان يشير به أبو المهاجر على عقبة.

23- ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 29 ، ابن عبد الحكم: م.س، ص 227 . وابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معركة الأصحاب دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1415/ 1995 ، 36 ص 186. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 2 ص 588، (يجعل الشهادة سنة 62ه). الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 7، 1406ه/ 1986، ص 241.

24- مُخَلَّد: بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام، انظر، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1396هـ/1976، ج 9 ص 203.

25- انظر ترجمته في، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5 ص413، ترجمة 4023 . ابن عبد الحكم: م.س، ص100-103-118. الذهبي: م.س، ج3 ص549، الزركلي: الأعلام، ج7 ص224. ابن حجر: م.س، ترجمة رقم 7991، ج 9 ص202. ابن كثير: السب م.س، ج 2 ص 588.

26- ابن تغري بردي: م.س، ج 1 ص 156 حيث يجعل سنة 62ه هي السنة الخامسة عشرة من ولاية مسلمة على مصر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 549 ترجمة رقم 431، الزركلي: م.س، ج 7 ص 224.

27- ابن حجر العسقلاني: م.س، ج 9 ص 203.، ابن الأثير: م.س، ج 3 ص 465. ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 21.

28- ابن الأثير: م.س، ج 3 ص 465.

29- يرى بعض الباحثين أن عزل عقبة عن ولاية إفريقية جاء بعد أن شغل عقبة بجمع الأموال التي كانت تذهب إلى عاصمة الخلافة أي أن العزل مرتبط بالغنائم- وهذا الإدعاء يفقد وجاهته بمجرد أن نعرف تاريخيا أن أبا المهاجر لم ينقل مصدر من المصادر التاريخية أنه أمطر الخلافة بوابل من الغنائم.

30- ابن سعد: م.س، ج5 ص413 ترجمة رقم 4023، الذهبي: م.س، ج3 ص230-321، أما ابن حجر العسقلاني فيجعل ولادته مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيض النبي صلى الله عليه وسلم وعمره 10 سنوات ، انظر، الإصابة ج9 ص202/ج7 ص22. ابن عبد الحكم: م.س، ص118.

31- ابن الأثير: م.س، ج 3 ص 191 ، الذهبي: م.س، ج 3 ص 549.

32- الذهبي: م.س، ج 3 ص 549 ، خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص 147.

33- انظر تفاصيل ذلك في ابن الأثير: م.س، ج 3 ص355.. 366.

34- ابو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج 1 ص 260" وكان عقبة المذكور صحابيا من الصالحين فوضع السيف في أهل إفريقية لأنهم كانوا يرتدون إذا فارقهم العسكر".

35- ابن عذاري: م.س، ج 1 ص 22، وابن عبد الحكم: م.س، ص 225، الحميري: الروض المعطار، ص 486.

36- ما قيل عن المعاملة السيئة من قبل أبي المهاجر إلى عقبة، وما قيل كذلك عن حرقه لمدينة القيروان بعد تسلمه القيادة خلفا لعقبة قد تناولناه في بحث خاص، وتبين لدينا أن أبا المهاجر لم يكن له بد في تنفيذ الأوامر كقائد في ظرف لم يكن عقبة يتصور فيه فعل العزل ولما يكمل مهمته بعد. بينما في قضية حرق القيروان فهي لا تعدو أن تكون جزءا من الدعاية السياسية في ذلك الوقت تعبيرا عن الامتعاض الذي أحدثه فعل العزل، بينما في البحث التاريخي النقدي ترجح لدينا أن عملية الحرق لم تحصل للمدينة بل بقيت تتمتع بكل مواصفات المدن.

37- يمكننا الحديث عن الدوناتية في القرن الرابع الميلادي والتي كانت في صراع محموم مع الكنيسة الكاثوليكية بين أسقف قرطاجنة فردوناتوس والأسقف دوناتوس الذي آزره البربر وأجاروه ورفعوا عنهم الثورة على الرومان سياسة في الواقع. (توفي دوناتوس سنة 355 م) ، انظر جوليان: تاريخ إفريقية، ج1 ص298- 303، مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص29، عثمان الكعاك: موجز تاريخ الجزائر، ص70-29.

38- Mercier: OPCIT T 1 p 54، جوليان: م.س، ج 1 ص 381.

39- موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ص37.

40- جوليان: م.س، ج 2 ص 363 ، مؤنس: م.س، ص 18 .

41- يرى السيد عبد العزيز سالم في كتابه المغرب الكبير، ج2 ص290 أن إسماعيل أبن عبد (عبيد) الله أبن أبي المهاجر الذي ولاه عمر بن عبد العزيز بلاد المغرب سنة 100هـ هو حفيد أبي المهاجر دينار، وهذا ما لم تقل به المصادر التي بين أيدينا، فإسماعيل بن عبد(عبيد) الله بن أبي المهاجر هذا مولى لبني مخزوم القبيلة القرشية كما نص على ذلك كل من المالكي في رياض النفوس ج 1 ص 115، وابن الأثير: م.س، ج 5 ص 55، والذهبي: في سير أعلام النبلاء، ج4 ص 455 ، والبلاذري في فتوح البلدان، ص323 ، وابن الأبار في الحلة السيراء، ج 2 ص 335 ، ولم تتحدث هذه المصادر عن أية صلة له بأبي المهاجر الفاتح رغم أن المصادر أشارت إلى حفيد أبي المهاجر دينار عندما تعرضت لعيسى بن محمد بن

سليمان بن أبي المهاجر (توفي 250هـ) وهو من مؤرخي إفريقية له كتاب فتوح إفريقية كما أشار إلى ذلك أبو العرب تميم في كتابه: طبقات علماء إفريقية.

42- خلافة عمر بن عبد العزيز في الفترة بين سنتي 99 و101هـ.

43- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 172 . وانظر كذلك حسين مؤنس: م.س، ص 38، Cambuzat:OPCIT T 1 p 34.

44- الإصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني الجمهورية ، العربية المتحدة، 1381هـ/19614 ص 36 .

45- لعلها إحدى وخمسين لأن كسيلة كان قائدا لأوربة زمن أبي المهاجر(55-62).

46- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 172 . وقال عنه في مكان آخر:" واجتمعت البربر على كسيلة كبير أوربة"، ج 7 ص 11 .

47- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 172.

48- المالكي: م.س، ج 1 ص 33.

49- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 127.

50- من الغريب أن يجعل Mercier (Mercier: histoire de l'Afrique septentrionale , Paris 1888 , T1 p 205) إسلام كسيلة خوفا من الموت، وبقي عند أبي المهاجر نصف سجين" ؟ فكيف استمرت الصداقة بينهما 7 سنين؟ وهل يعقل أنه خلال هذه السنين كلها لم يتخذ فرصة للهروب كما فعلها مع عقبة بن نافع في حملته الثانية وانتقم لنفسه، إن إسلام كسيلة كان عن إرادة خالصة واقتناع بهذا الدين من خلال سياسة أبي المهاجر، ولذلك فإن مواجهته لعقبة بن نافع إنما كانت نصرة لصديقه أبي المهاجر كما يقول المالكي في رياض النفوس، ج1 ص40.

51- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 127 ، ج 6 ص 172 .

52- مؤنس: فتح العرب، ص 20.

53- ابن خلدون: م.س، ج 6 ص 90 . ابن عذاري: م.س، ج1 ص 28 . المالكي: م.س، ج 1 ص 33 .

54- البكري: المسالك والممالك، ج 2 ص 216 .

55- خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، ص 171، المالكي: رياض، ج 1 ص 31، الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 165-166، بن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1 ص 152 .

56- جزيرة شريك تقع بين مدينة سوسة ومدينة تونس انظر عنها، البكري: المسالك، ج 2 ص 219 .

57- انظر ترجمة حنش بن عبد الله الصنعاني في، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 5 ص 391

58- المالكي: م.س، ج1 ص31. أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس، ص81 . موسى لقبال: المغرب اسلامي، ص39 ، الزركلي: الأعلام، ج 3 ص.6

59- ص 313.

60- يرى Cambuzat أن حسين مؤنس قد اكتشف هذا النص عن طريق فورنل Fournel انظر Cambuzat OPCIT T 1 P 48 هامش 3 ، غير أن السلاوي كان من الذين ذكروا ذلك في كتابه الاستقصا، ج 1 ص 88 .

61- خطورة هذا الحكم أنه لازم كثيرا من الباحثين وصدهم عن البحث في المصادر بغية الوصول إلى الجديد وخاصة أن هذا الحكم من طرف عالم جليل- لذلك يجب أن لا تكون هناك أحكام نهائية في قضايا تاريخية يمكن الوصول فيها إلى مصادر لم يطلع عليها المؤرخ أو لم ينتبه إليها.

62- ص 313 .

63- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 4 ص 165-166 قارن ذلك مع نص أبي المحاسن: النجوم الزاهرة، ج1 ص 152 .

64- ص 171.

65- ج 1 ص 31 .

66- شغيب: أم الحواضر، ص 27 .

67- السلاوي: الاستقصا في أخبار المغرب الاقصا، ج 1 ص 80، الميلي: تاريخ الجزائر، ج 1 ص397، لقد علق الدكتور بحاز إبراهيم في كتابه تاريخ ميلة ص 86 هامش 5 وقال عن الميلي:" من الغريب أن الميلي يقول لم أقف على هذه الرواية وفي غروت أنه نقل مركز الولاية إلى ميلة ولم أقف على هذه الرواية في غيره). وذكر بأن الرواية موجودة في كتاب المغرب للبكري ص 64 وقد رجعت إلى البكري ولم أجد ذكرا لهذه الرواية. والحقيقة أن الميلي اطلع فعلا على رواية البكري وذكرها كاملة في ج 1 ص497 .

68- انظر عن مدينة ميلة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5 ص 282 -283 ، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج 1 ص 265 ، البكري: المسالك والممالك، ج 2 ص 245 ، الحميري: الروض المعطار، ص 568 ، الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج 2 ص 60 .

69- لقبال موسى: دور كتامة، ص 150 .

70- مجهول: الاستبصار، ص 166 . الحسن الوزان: م.س، ج 2 ص 60 .

71- اليعقوبي: البلدان، ص 190.

72- ابن حوقل: صورة الأرض، ص 85 .

73- اليعقوبي: م.س، ص 190.

74- انظر، شغيب: م.س، ص 27 - 29 .

75- اليعقوبي: البلدان، ص 190 . الإدريسي: م.س، ج 1 ص 265 .

76- يرى الحسن الوزان أن اسم ميلة مشتق من الاسم اللاتيني ميلة بمعنى التفاح.

77- الحسن الوزان: م.س، ج 2 ص 60 .

78- الحميري: م.س، ص 568.

79- البكري: المسالك والممالك، ج 2 ص 245 .

80- الحسن الوزان: م.س، ج6 ص60، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5 ص282-283، Gsell: Atlas feuille 17 n0 59 p 4

81- Canbuzat: tom 2 p 172.

82- G. Marcais: la berberie musulmanes et l'orient au moyen age, Paris 1946 p 36 . نقلا عن السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج 2 ص291.

83- ابن عبد الحكم: م.س، ص 221، ابن الأبار: م.س، ج 2 ص 326 .